

القول الحسم في مسألة الختمية والختم

الحاج عبدالله بن
الشيخ الهادي التجاني الشنقيطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي الحكيم الحق، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الذي جاء بالصدق، ورضي الله عن صدق بذلك الصدق، سلام لو تنزل كان سرا وروحا وشبعا وقلبا يذف لأخينا في الله ولكل إخواننا في المشرب الخاص بل ولكل أخ في الطريقة ولكل منتم غير متعصب لأية طريقة صحيحة المأخذ، موجهه أن الكلام على ختمية وكتمية سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا خاتم الأولياء وممدهم من الأزل للأبد مولانا أحمد بن محمد التجاني صعب أخرى في زمن شاع فيه التعصب والجهل. **وقد كتبت إلي تسألني عن سوق ما يمكن سوقه من أدلة ذلك.** ومعلوم أن الأدلة العقلية والعقلية لا يفهمها عادة إلا من وفقه الله تعالى كما يصرف عنها من أضله الله إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء.

وحيث لزم أن أتحدث عن الختمية والكتمية ليستفيد المستفيد أقول: اعلم أن الله تبارك وتعالى كان موجودا بوجود لم يسبقه عدم ولم يلحقه عدم فلما تعلق إرادة الحق بتعرفه تعالى خلق بمشيئته وحكمته الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام وأودعها ما شاء من أسرار التعرف وجعلها واسطة في تعرفه في جميع الدوائر. فأوحى إلى عبده ما أوحى أي أوحى من سر الألف من "الله" ما أوحى في الميم من "محمد" وأوحى في الحاء ما أوحى من سر اللام الأولى وأوحى في الميم الثانية ما أوحى من سر اللام الثانية وأوحى في الدال ما أوحى من سر الهاء. وتعرف الحق تعرفات الأزل كلها من تجلي الذات للأحدية وهو تجليها لنفسها ومن تجليها للحقيقة المحمدية المعروف عند العارفين بالواحدية ثم تعرفات الأبد التي تقابل ذلك وتظهره في حضرة البقاء. قال تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) فلما أراد الله أن يظهر هذا التعرف في هذا العالم جعل سيدنا محمدا سيد الأكوان وجمع في ذاته الشريفة جميع التجليات والأسرار وجعله فاتحا لما أغلق وخاتما لما سبق وهاديا لمن خلق. واختار الله الصورة الأدمية للإنسان وهي صورة "محمد" فرأسه ميم وجناحاه حاء وبطنه ميم ورجلاه دال وركز فيه العقل وجعله خليفة وركب فيه النفس (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها).

وجعل لتعرفه الخاص دائرتين إحداهما دائرة النبوة والأخرى دائرة الولاية المشار لهما بقوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) فالذي جاء بالصدق هو النبي والذي صدق به هو الولي. وجعل سيدنا محمدا مظهر النبوة وحقيقتها والأنبياء سفراء عنه فهو صلى الله عليه وسلم سماء النبوة والأنبياء كالنجوم يتدلون منها وهي باقية على صورتها.

ونظرا لختم مرتبة النبوة بغياب صورته الشريفة من حيث الناسوت حيث أنه في هذا المقام بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وبما أن مراد الله من العالم لم ينته بعد

ورحمة بالأمة، فتح الله سبحانه وتعالى دائرة الولاية وهي صورة طبق أصلها الذي هو النبوة حذو النعل بالنعل فظهر الأقطاب والأولياء في كل زمن كما كان ظهور الأنبياء من قبل فهذا الولي على قلب هذا النبي وذاك على قلب ذلك.

وبقي ما يقابل مقامه صلى الله عليه وسلم في دائرة الولاية وهو المقام المسمى عند أهل هذا الشأن بالختمية أي المرتبة التي ختمت الولاية المحمدية. وقد كان من اللازم ان يعود السائل للمراجع التي بسطت هذه الأدلة وفي مقدمتها كتاب "تنبيه الأذكياء في كون الشيخ التجاني خاتم الأولياء" لشيخ الإسلام خليفة الشيخ الختم التجاني الشيخ الحاج ابراهيم عبد الله انياس رضي الله تعالى عنه والكتب الأخرى التي تناولت ختمية الولاية على وجه التحقيق وأجمعت بالإشارة والتصريح على أن شيخنا أحمد بن محمد التجاني هو خاتم الأولياء بالإطلاق.

غير أن معيقات منها عدم توفر هذه المراجع وعدم التمكن من فهمها حالت دون الرجوع إليها، وإذا كان لي من دور أقوم به في هذا المضمار فلعله جمع وتبسيط هذه الأدلة نقلا عن مراجعها لفائدة الجميع سائلا المولى أن يتقبل كل ذلك وأن يجعله في صالح الأعمال. وقد سميت هذه الرسالة: "القول الحسم في مسألة الختمية والختم". وقبل أن أبدأ في سوق الأدلة أقول أن ختمية الشيخ التجاني وكنميته لم تعد محل خلاف لتواترها ولكونها أصبحت من الإجماعات بالنظر إلى تحقق ختميته في انتشار طريقته عبر العالم وبالنظر لتحقيق كتميته بانتشار فيضته المحمدية الأحمدية الإبراهيمية في كل صقع من أصقاع الدنيا.

وكيف يصح في الأذهان شيء ما احتاج النهار إلى دلي

ولعل أبرز دليل على كون شيخنا أحمد بن محمد التجاني خاتم الولاية المحمدية هو نسخ طريقته المحمدية الأحمدية لجميع الطرق حتى لم تبق طريقة غير طريقته تصلح للتربية على الإطلاق، كما أن أبرز دليل على وقوع الفيضة التجانية تحققا على يد خليفته شيخنا الشيخ الحاج ابراهيم انياس كون المعرفة الكاملة الشاملة لجميع المراتب أزلا وأبدا لا توجد خارج جماعة الفيضة بل إنها مستحيلة في اعتقادي دون صحبة هذا الشيخ تمشيا مع نظام الحكمة الالهية. "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".

وإذا كانت ظهور الطريقة التجانية لم يمح الطرق التي قبلها محوا تاما فلأنه من حكمة الله تعالى أن لا ينفي صورة مرتبة دلت عليه في زمن من الأزمان وزال حكمها إذ تبقى لتلك المرتبة قدسيتها وصيتها رغم زوال حكمها وعزلها عن الخدمة. ومن غريب الحكمة أن تتحول المراتب المعزولة عن الخدمة إلى حجب يقيد بها الله البعض عن اتباع المرتبة التي لها الحكم. فرغم ظهور الإسلام قبل أربعة عشر قرنا نجد الملايين يتمسكون اليوم بالمسيحية واليهودية وهم ممن يدعون اتباع سيدنا موسى وسيدنا عيسى

عليهما السلام، ورغم ظهور الطريقة التجانية نجد متصوفة متمسكين بطرق أخرى لا زالت لها دلالتها العامة. غير أن كل هذا لا يضر الإسلام كدين اختاره الله «إن الدين عند الله الإسلام» كما أنه لا يضر الطريقة التجانية بوصفها منهجا جعله الرسول صلى الله عليه وسلم باب السلوك والتربية لمن يريد العلم الباطن في آخر الزمان ولمن يريد اتباع النبي في جميع دوائره شريعة وطريقة وحقيقة.

ومعلوم أننا معاشر التجانيين نجل الطرق جميعا فهي جميعها تدعو إلى العلياء وطريقتنا التجانية وارثة جميع الطرق من باب أن الزمان زمانها. وأؤكد هنا على أن الصلة بين العبد وربّه واحدة لأن الله سبحانه وتعالى واحد بذاته وصفاته وأسمائه كما أن النبي صلى الله عليه وسلم واحد وخاتم الولاية المحمدية على هذا النظام لا بد أن يكون واحدا أيضا ولا تعدد مطلقا في هذه المراتب الثلاث علم ذلك من علمه وجهله من جهله.

ولست في هذه العجالة أسوق الأدلة للعامة غير المخاطبين في دوائر الاختصاص ولا لأعداء التصوف الذين أعماهم الله عنه وحرّمهم من ثماره بل نسوق الأدلة لإخواننا وأشقائنا التجانيين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولإخواننا في الطرق الأخرى الذين نحترمهم ونجل مشائخهم وطرقهم وبخاصة ساداتنا رؤوس الطرق الكبرى. واعتقادنا أن الطرق كلها مؤسسة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وسيرا على نهجه واقتفاء لهديه سواء القادرية أو الشاذلية أو الرفاعية أو فروع كل منها.

وشيخنا الشيخ أحمد التجاني اتبع بعض هذه الطرق بداية أمره حيث أخذ الخلوتية والسمانية والقادرية حتى أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتخلي عنها وصرّفه عن تلك القبلة وولاه قبلة يرضاها فأذن له في طريقته المحمدية الأحمدية التي اختارها الله هديا لآخر هذه الأمة المرحومة كما من أحزاب هذه الطرق أحزابا ضمها شيخنا الشيخ أحمد التجاني لأوراده بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم كالسيّفي وحزب البحر والدور الأعلى وهي معروفة لا نطيل بذكرها.

ولعل أحسن مثال على هذه الطرق ما كان والدنا الشيخ الهادي بن سيدي مولود فال رضي الله عنه يذكره في خطبه ومواعظه للأحباب فقد كان يقول أن مثل الطرق في توصيلها للمدد الباطني عبر الأزمان المتعاقبة كبئر حفرت بعمق معين ثم زيد في عمقها حقة بعد حقة إلى أن وصل عمقها للبحر المحيط. فقد ظهرت الطرق وكل طريقة لها حبل لنزع الماء يناسب عمق البئر في زمنها وكل حقة بعد أخرى تزداد البئر عمقا ثم تظهر طريقة بحبل أطول من سابقه يناسب ذلك العمق وهكذا إلى أن توقف تعميق البئر في قرارها الأخير المتصل بدائرة الإطلاق جاءت الطريقة التجانية آخر الزمن بحبل يناسب العمق الأخير.

فإذا جاء مريد من مريدي الطرق السالفة بحبلها فلن يستطيع نزع الماء لأن البئر زيد في عمقها بعده ولن يكون بوسعه ارتياد الماء لأن حبله قصير. فلما أن يكون هذا

المريد حريصا على ارتياد الماء فلا بد له في هذه الحالة أن يتصل بالطريقة ذات الحبل الموصل أو يكون متعصبا فسيبقى ممسكا بحبله ليقتله العطش والحرمان وهو يرى لمعان الماء في العمق. وأشدد هنا على أن حبال الطرق كلها حبال مقدسة أوصلت الناس إلى المدد على فترات لكن التعلق ينبغي أن لا يكون بصورة الحبل بل بفائدته وقدرته على الري والسقي.

وأزيد هنا نقطة أخرى هي أن المدد الباطني الواصل في آخر الزمن مدد خاص جدا لا يمكن أن يتوسط فيه إلا ولي خاص. ومعظم من لايقرون بهذا هم من أرباب الطرق التي انقطع عنها المدد بسبب ظهور الطريقة التجانية وفيضتها حيث ساءهم تطاير الأتباع عنهم إلى نور الحق. وإذا تمهد هذا أقول أن البصراء بهذا الشأن اتفقوا على وجود الختمية كمقام خاص في دائرة الولاية. فختمية الولاية قضية حقيقية وقديمة ليست من وضع التجانيين فقد تحدث عنها الإمام الحكيم الترمذي المتوفى سنة 275هـ في كتابه "خاتم الأولياء".

يقول الحكيم الترمذي في كتابه المذكور صفحة 421 ما نصه:

قال له القائل صف لنا هذا المجذوب الذي وجبت له الإمامة على الأولياء وأن لواء الولاية بيده وأن الأولياء كلهم محتاجون إليه في الشفاعة كما يحتاج الأنبياء إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال أما صفته فهو الذي أعلمتك. قال فيم تقدم الأولياء فاحتاجوا إليه؟ قال: فإنه أعطي ختم الولاية فبالختم تقدمهم فصار حجة الله على أوليائه وقد ذكرت في أول الكتاب سبب الختم وهو أن النبوة أعطيت الأنبياء عليهم السلام ولم يعطوا الختم.

فلم تخل تلك الحظوظ من هنات النفس ومشاركتها وأعطي نبينا وختمت له نبوته كالعهد الذي يكتب ثم يختم فلا يصل أحد إلى أن يزيد فيه أو ينقص منه وقد وصفت شأنه فيما تقدم وكذلك هذا الولي يسير به الله تعالى على طريق محمد صلى الله عليه وسلم بنبوته مختوما بختم الله فكما كان محمد صلى الله عليه وسلم حجة على الأنبياء كذلك يصير هذا الولي حجة على الأولياء بأن يقول الله تعالى لهم: معاشر الأولياء أعطيتكم ولايتي فلم تصونوها في مشاركة النفس وهذا أضعفكم وأقلكم عمرا قد أتى بجميع الولاية صدقا فلم يجعل للنفس فيها نصيبا ولا تلبيسا.

وكان ذلك في الغيب من منة الله تعالى على هذا العبد حيث أعطاه الختم لتقرر به عين محمد صلى الله عليه وسلم في الموقف حتى قعد الشيطان بمعزل وأيست النفس فبقيت محجوبة فيقر له الأولياء يومئذ بالفضل عليهم فإذا جاءت تلك الأهوال لم يك مقصرا وجاء محمد صلى الله عليه وسلم بالختم فيكون أمانا لهم من ذلك الهول وجاء هذا الولي بختمه فيكون أمانا لهم بصدق الولاية

فاحتاج إليه الأولياء. وللختم شأن عجيب والله في ولد آدم عجائب وخلقهم لأمر عظيم ولما عرف العاقل أن الله ولي (أي تولى) خلق آدم بيده علم أن هذه خطة فيها أمور عظام ولما عرف أنه سماه خليفة علم أن هنا عجائب فإن الخليفة له شعبة من الملك المستخلف. اهـ انظر الصفحات 10-11 من كتاب "البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين" للشيخ ابراهيم عبد الله نياس رضي الله عنه.

وممن تكلم عن الختمية والخاتمية بل وادعاها لنفسه أولاً ثم تبرأ منها أخيراً الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي الحاتمي رضي الله عنه فقد صح عن الشيخ الأكبر بن العربي الحاتمي أن الله كشف له عن الخاتم بمدينة فاس محل ظهور الشيخ التجاني رضي الله عنه عام 595هـ أي بحوالي خمسمائة وخمس وخمسين سنة قبل ميلاد الشيخ التجاني وبسنة قرون قبل ظهوره.

يقول الشيخ الأكبر في الجزء الثاني من الفتوحات المكية ما نصه:

وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلاً وبدء وهو في زمننا اليوم موجود عرفت به سنة 595هـ ورأيت العلامة التي قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه وهو خاتم الولاية المطلقة لا يعلمها كثير من الناس وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العالم به وكما أن الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الإرث المحمدي لا التي تحصل من سائر الأولياء فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم وبعده لا يوجد ولي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هذا معنى خاتم الولاية.

وقد نقل سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه نص كلام بن العربي عن الختمية والخاتم في كتابه اليواقيت والجواهر في الصفحة 79 مؤيداً ما قاله الشيخ الأكبر مما يدل أنه سلم كلامه وارتضاه وهو من هو في العلم والتقوى والورع والولاية. وفي نفس السياق أشار الشيخ المرتضى في شرحه للقاموس المحيط للفيروزآبادي ما نصه:

والختم عند أهل الحقيقة من تختم به الولاية المحمدية وثم ختم آخر يختم الولاية العامة.

والأغرب من كل هذا والدليل القاطع على ختمية شيخنا التجاني رضي الله عنه للولاية أن العلامة الجليل الشيخ سيدي المختار الكنتي وهو قطب من أقطاب الطريقة القادرية

ذكر أن الختم يظهر في القرن الثاني عشر مما يدل دلالة قاطعة أن الختم لم يظهر قبل ذلك وهذا هو القرن الذي ظهر فيه شيخنا التجاني خاتم الأولياء مطلقاً.

يقول الشيخ المختار الكنتي رضي الله عنه في كتابه الطرائف والتلائد ما نصه:

الحمد لله الذي جعل صدور أوليائه معادن لحل رموز ما أشكل من الحكم والأحكام وصيرهم مهيبين لورود الكشوفات وبدائع الإلهام والصلاة والسلام على بشير الأنام وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلام. سؤالك أيها السائل الهمام عن تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فيما رأيته في غيابات المنام رأيتمكم ليلتكم هذه فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد فتأويله والله أعلم أن هذا القرن الذي نحن فيه يشاكل قرنه عليه الصلاة والسلام من وجوه:

- ❖ أولها أن فيه خاتم الأولياء كما في قرنه خاتم الأنبياء.
- ❖ الثاني أن أتباع هذا الولي المجدد الخاتم يدعون للخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما أن أصحاب ذلك النبي الخاتم الماحي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وحده ويجاهدون الأمم الضالة كما أن هؤلاء يجاهدون النفس والهوى والشيطان الجهاد الأكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس.
- ❖ الثالث الإشارة إلى أن هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السابقة سوى القرون الثلاثة لورود النص بأفضليتها قال صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» الحديث. وقد فسر ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: خير هذه الأمة أولها وآخرها وبين ذلك نهج أعوج ما أنا منهم ولا هم مني.

إن ما نص عليه الشيخ سيدي المختار يؤكد ختمية شيخنا التجاني للولاية حيث أن الشيخ احمد التجاني معاصر للشيخ سيد المختار الكنتي حيث ولد الأول عام 1150هـ والثاني عام 1143هـ وتوفي الأول عام 1230هـ والثاني عام 1226هـ. ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. وفي النقول التي أوردنا نلاحظ أن الحكيم الترمذي تحدث بكشف نوراني عن الختم والختمية وأعطى صفات الخاتم كاملة وهي صفات منطبقة على شيخنا التجاني رضي الله عنه ثم نرى الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي وقد كشف له عن اسم الشيخ التجاني وعن جنسه وموطنه ومقامه بصورة واضحة ومحددة لا لبس فيها مما جعله يؤلف بعد ذلك كتابه "عناء مغرب في وصف خاتم الأولياء وشمس المغرب" ثم نجد الشيخ سيد المختار الكنتي وهو معاصر للشيخ التجاني رضي الله عنه وليس من أهل طريقته يجزم بأن القرن الثاني عشر هو

القرن الخاص بظهور خاتم الأولياء حصرا. أليست هذه أدلة جلية لا غبار عليها؟ هذا ولم نسمع قبل شيخنا التجاني ولا بعده من ادعى مقام الختمية سوى الشيخ الأكبر بن العربي الحاتمي وقد تراجع عن ذلك. وذلك أن الشيخ الأكبر رأى مقاما ما فوقه إلا مقام النبوة وظن أنه له واطمأنت به نفسه غاية الاطمئنان فبينما هو كذلك إذا بمناد يناديه ليس لك ما ظننت وتمنيت إنما هو لولي من أوليائي في آخر الزمان ليس وليا أكرم على الله منه فعند ذلك سلمت الأمور إلى مولاها ولطالما جلست في الغيوب ببصيرتي لأطلع عليه وعلى مقامه ونسبه و بلده واسمه وكيف يكون حاله فما أطلعنا الله على شيء من ذلك ولا شممت له رائحة أصلا. إلى آخر كلامه رضي الله عنه.

وزيادة على هذه الأدلة أقول إن الشيخ التجاني رضي الله عنه إنما اعتمد في كونه خاتما للولاية على ما نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرف ما في الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم من الوعيد الصريح. ولولا أنه رضي الله عنه كان صادقا ولولا أنه كان صاحب المقام المذكور لما انتشرت طريقته السنية في الدنيا ولما أصبح مريدوه هم عمار المساجد بالصلوات والذكر والدعوات والطهارة. ولولا أنه كان الخاتم لما انحصر في أتباعه المدد الخاص بعلم الحقيقة. يقول رضي الله عنه فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في جواهر المعاني: أنا سيد الأولياء كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى:

روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا روحه صلى الله عليه وسلم تمد
الرسول والأنبياء عليهم السلام وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من
الأزل إلى الأبد.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به إن النبي صلى الله عليه أخبره بأن مقامه أعلى من جميع المقامات وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : إن نسبة الأقطاب معي كنسبة العامة مع الأقطاب. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به:

إن لنا مرتبة تناهت في العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره وليس هو
ما أفشيتة لكم ولو صرحت به لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري
فضلا عن عداهم وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من ورائها.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به لأصحابه:

يليه أعلامكم أن فضل الله تعالى لا حد له وإن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وأن مقامنا عند الله تعالى في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من كبر شأنه ولا من صغر وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة وإلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا ولا يقاربه لبعده مرامه عن جميع العقول ولصعوبة مسلكه على أكابر الفحول ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيقاً. وقال رضي الله عنه لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعده الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا ربنا ما أعطيتنا شيئاً.

يقول شيخ الإسلام الحاج إبراهيم عبد الله نياس رضي الله عنه معلقاً على هذا الكلام:

وإذا كان هذا حال الأقطاب معهم فما ظنكم بمن دونهم من الصديقين والعارفين والأولياء وإذا كان هذا حال المذكورين فما ظنك بأهل طرقهم بمن لم يصل إلى مراتبهم. هذا ولم يزل العلماء من خارج أهل طريقته يثنون عليه رضي الله عنه ويقرون له بالشرف والعلم والعرفان والفضلية. فقد أتت عليه من المغاربة العلامة سيد حمدون بن الحاج والعلامة المشارك المحقق أبو عبد الله سيدي محمد (فتحاً) القادري والعلامة النسابة الكبير سيدي أحمد الناصري السلاوي ومن أهل شنقيط الولي الشهير والقوة الشهير محمد فال بن أحمد العاقل والعلامة سيدي عبد الله بن أحمد دام ومن أهل تونس الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ثم المصري ومن أهل الشام الإمام الفاضل والمحب الكامل سيدي يوسف النبهاني والدكتور حسن إبراهيم حسن مدير جامعة أسيوط. وهذا على السبيل المثال لا الحصر. فهؤلاء هم بعض علماء الملة الإسلامية الذين ليسوا من أهل الطريقة ممن أثنوا عليه خيراً.

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً من غير أن يجدوا آثار إحسان

ولنختم هذه الرسالة بمشهد لشيخ الإسلام وحجة الأنام صاحب الفيضة التجانية الخليفة المطلق الشيخ الحاج إبراهيم عبد الله نياس رضي الله عنه وهو مشهد قد لا يفهمه من لم يتحقق بالمعرفة التامة. يقول مولانا شيخ الإسلام:

شاهدت الاسم الأعظم ذات مجردة عن النسب ليس لها أول ولا آخر وبحثت أقول إن الذات اسم والاسم ذات لاتحاد الاسم مع المسمى فوقفت طويلاً وأنا أطلب الأسماء الحسنی والصفات العلا فلم أر منها اسماً ولا صفة لاندراج الأسماء والصفات في الأعظمية ثم وقع شأن من شؤون الحق لا أعبر عنه فإذا الاسم بحاله إلا أن الأسماء ظهرت أجزاء متفرقة

مثال ذلك والله المثل الأعلى ظهور النجوم في ذات السماء فنجوم الأسماء تراءت له في سماء ذات الاسم وكل جزء من تلك الأجزاء ليس له أول ولا آخر فبنظري إلى الذات التي هي الأعظمية أرى كل اسم جزء وبنظري إلى اسم من الأسماء أراه هو هو لا فرق فعلت أن من قال إن الاسم ليس للذات غيره صدق ومن قال إن الأسماء كلها أعظم صدق وفي هذا المشهد ما تجلى لي الحق إلا باسم ولم أر كالأسم عظمة وجاها ولا كالأسماء كثرة وقربا وجاها ثم وقع شأن لا أعبّر عنه فوقفت أتطلب الأنبياء والرسل من آدم إلى عيسى عليهما الصلاة والسلام فلم أر للذات نبيا ولا رسولا لاندراج الرسل في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم وقع شأن فإذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بحاله والرسل أجزاء متفرقة كالمثال المتقدم سواء بسواء فصرت ألقى الأنبياء واحدا بعد واحد فلا أرى واحدا منهم إلا وقلت هذا هو نبينا ما لم أنظر إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا المشهد ما تجلى لي الحق إلا بسيدنا محمد ثم وقع شأن فرأيت القطب المكتوم وخاتم الأولياء فوجدته في محل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوقفت أطلب الأولياء والأقطاب فلم أجد وليا غير سيدنا أحمد لاندراجهم في ولايته رضي الله عنه ثم وقع شأن فتراءت الأولياء والأقطاب أجزاء متفرقة فيه كالمثال الأول حرفا بحرف فعلمت أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ختم الرسالة لكونه خليفة عن الاسم والأنبياء في محل الأسماء وأن سيدنا أحمد ختم الولاية لكونه خليفة لسيدنا محمد والأولياء في محل الأنبياء فهذا معنى خاتم الولاية المحمدية وكون بعضهم متقدما وبعضهم متأخرا لا عبرة به هنا لوقوع هذا قبل الأزمان فقد كان خاتم الأنبياء نبيا عارفا بنبوته وآدم بين الماء والطين كذلك خاتم الأولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين". نهاية المشهد.

هذا ما أمكنني سوجه توضيحا للختمية وثمة ما لا يمكنني قوله مطلقا. أسأل الله تعالى أن يوسع مداركنا لفهم مقاصده وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والسلام

عبد الله بن الشيخ محمد الهادي بن سيدي مولود فال التجاني الإبراهيمي الشنقيطي

إمام جامع نمرّة - نواكشوط - موريتانية